﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم: 29]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بعد تقرير سوء المصير شرع في بيانه وتفصيله وذمّه

لمّا بيَّن أنَّ مآل الذين بدَّلوا شكر نعمة الله بالكفران أنَّهم أحلّوا قومهم دار البوار؛ أتبعه ببيان تلك الدّار، وأنَّها تلقاهم بسوء المنظر، فلمّا "أفاد أنَّها مهلكة؛ بيَّنها بما يفهم أنَّها تلقاهم بالعبوسة، كما كانوا يلقون أولياء الله من الرُّسل وغيرهم بذلك، فقال: ﴿جَهَنَّمَ﴾ حال كونهم ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾"[1]. فالآية مسوقة لبيان دار البوار، فأعقب الإبهام الحاصل من قوله: ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾ بإيضاح كون تلك الدّار هي نار جهنَّم التي هي بئس القرار.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: أصلُ (صلى): النّارُ وما أشْبَهَها مِنَ الحُمَّى، يُقال: صَلَيْتُ العودَ بالنّارِ، وصَلَيْتُ اللَّحْمَ، بالتَّخفيفِ، على وَجْهِ الصَّلاحِ مَعْناهُ شَوَيْته، فأمّا أصْلَيْتُه، وصَلَّيْتُه؛ فَعَلَى وجْهِ الفَسادِ والإحْراق[2]. وتصلّاها: قاسَى حرَّها، وأصلاه النّار، وصلّاه إيّاها وفيها وعليها: أدخله إيّاها وأثْواه فيها، قال الآلوسي، وقال بعض المُحقِّقين: إنَّ أصل الصَّلي القُرب من النّار، وقد استعمل هنا في الدُّخول مجازًا[3]. والصِّلاءُ: يقال للوَقود وللشِّواءِ[4]. والمقصود بالصَّليِّ في الآية: الاصطلاء بالنّار والقُرب منها، والمراد به هنا: الاحتراق بها.

2) ﴿الْقَرَارُ﴾: أصلُ القَرارِ: الثُّبوتُ والتَّمَكُّنُ، يُقال: قرَّ الشَّيْءُ،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 10/416.
(2) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (صلي).
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 2/425.
(4) الخليل، العين، وابن منظور، لسان العرب: (صلي)، والفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز: 3/435.

يَقِرُّ، قَرارًا؛ إذا ثَبَتَ في مَكانِهِ، ولم يَتَحَوَّلْ، والقَرارُ: المُستقرُّ مِنَ الأرض، وأقرَرتُه في مَقَرِّه ليَقَرَّ، وفلان قارٌّ، أي: ساكِنٌ[1]. ويأتي بمعنى الاقْترانِ والتَّلازُم، يُقالُ: قَرَّ الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ؛ إذا قُرِنَ بِهِ، وتَرافَقَ مَعَهُ، ومِنْ مَعانيه أيضًا: الإقامَةُ، والاطْمِئْنانُ[2]. والمراد بالقَرارِ في الآية: الثُّبوتُ في المَكانِ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقولُ تعالى: هذه الدّار هي جهنَّم دار العَذاب والهلاك الَّتي يقاسون حَرَّ نارها، تُحيطُ بهم من جميع جوانبهم، وبئس المُستقرُّ هي لمن أراد اللّه به النَّكال والوَبال[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة جملة ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَاۖ﴾ بين البدل والاستئناف:

إتباع الإبهام بالبيان يخلع المبالغة والتَّهويل على مضمون الخطاب

أجاز أئمَّة التَّفسير والبيان أن تكون الجملة في قوله تعالى: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَاۖ﴾ استئنافيَّة، وأن تكون بدلًا، ودلالة كونها بدلًا أنَّه جيء بها بعد الإبهام في قوله: ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾؛ إذ إنَّ في الإبهام المتبوع بالبيان تهويلًا بليغًا بمضمون الخطاب[4]، وهذا مبنيٌّ على أنَّ المراد من ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ الآخرة، فيكون ذكر النّار بعدها على أنَّه بدلٌ عنها، "فتخصُّ دار البوار بأعظم أفرادها وهو النّار، ويجعل ذلك من ذكر بعض الأفراد لأهميَّته"[5]، أمّا الاستئناف؛ فهو مبنيٌّ على تفسير دار البوار بأنَّها أرضُ بَدْر، فتكون جملة ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَاۖ﴾ مستأنفة استئنافًا بيانيًّا، كأنَّه قيل: وما دار البوار؟ فقيل: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَاۖ﴾.

(1) الخليل، العين: (قر).
(2) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (قرر).
(3) المراغي، تفسير المراغي: 13/153.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/45.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/229.

سرُّ إيثار اسم ﴿جَهَنَّمَ﴾ على غيره:

جـهـنَّـم بئس الـقـرارُ جـزاءً لأسوأ الأعمال؛ فـالـجـزاء من جنس العمل

لمّا كانت أعمال هؤلاء قد بلغت مداها من الكفر، وكانوا سببًا في إنزال قومهم دار الهلاك والخسران، أوثر التَّعبير عن دار البوار بأدقِّ وصفٍ للنّار، وهو ﴿جَهَنَّمَ﴾، التي يعذَّب فيها الكافرون - نعوذ بالله منها وممّا يؤدّي إليها -؛ ليكون الجزاء من جنس العمل؛ لأنَّ اسم ﴿جَهَنَّمَ﴾ يدلُّ على بُعْد قَعْر الشّيء وعُمق تجوُّفه مع اضطمامه على هذا التجوُّف، وقد تكرَّر في الأحاديث وصفها بالعمق السّحيق، وقد سمّاها الله ﷻ هاوية ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة: 9] "والهاوية: كُلُّ مَهْواةٍ لا يُدْرَك قعرُها"[1].

غرض تقديم المفعول به ﴿جَهَنَّمَ﴾:

التَّعجيل ببيان سوء المصير أبلغ في التَّفجيع

قدَّم النَّظم الجليل المفعول به في قوله تعالى: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ تعجيلًا لهم بهوْل المصير، وتفجيعًا لهم، فبعد الإبهام المتحصِّل من قوله: ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ بمجيء الوصف عامًّا؛ أتبعه باللَّفظة الَّتي تفسِّر ذلك البوار، مقدِّمًا إيّاها على الفعل؛ لما في ذلك التَّقديم من تعجيلٍ بالفاجعة، فليس المراد مجرَّد الإخبار بأنَّ تلك الدّار هي جهنَّم؛ بل المراد بيان فداحة الخسران والبوار الّذي أحلّوا قومهم فيه، فافتتاح الجملة بالمفعول به ﴿جَهَنَّمَ﴾ افتتاح بليغ يدلُّ على التَّفجيع والتَّهويل بسوء المصير.

غرض وصف جهنَّم بجملة فعليّة:

التَّقييد بالصَّلْي المعلوم تصوير لكيفيَّة المباشرة

قيَّد النَّظم الجليل لفظ جهنَّم بالجملة الفعليَّة في قوله تعالى: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ للدَّلالة على حال الكافرين فيها، أي: إنَّهم يباشرون حرَّها منغمسين فيها[2]، فالجملة الفعليَّة ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ مستأنفة، جيء بها لبيان "كيفيَّة حلولهم فيها، أي: داخلين فيها

(1) ابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (جهنم).
(2) البقاعي، نظم الدرر: 10/416.

مقاسين لحرها"[1]، فلم يكتفِ النَّظم ببيان كون دار البوار بأنَّها جهنَّم؛ بل بيَّن كذلك كيفيَّة دخولهم تلك الدّار، كما لا يخفى أن التَّصريح بصلْيِ النّار غير ملزم؛ إذ إنَّ دخول النّار يقتضي الصَّلْيَ فيها، فإنَّما صرَّح بذلك إيغالًا في التَّرويع والتَّرهيب.

دلالة التَّعبير بالمضارع ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾:

الحلول في النّار لا ينقطع في دارهم الدّائمة

آثر النَّظم الكريم التَّعبير بالفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾؛ للدَّلالة على أنَّ حلولهم فيها، وصليهم بحرِّها كائنان على وجه الدَّوام والاستمرار[2]. كما أنَّ في ذلك تصويرًا للمشهد واستحضارًا للصّورة، وهذا التَّصوير والاستحضار أبلغ في التَّرويع والتَّفجيع.

دلالة موقع جملة ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾:

عطف القبيح على القبيح تهويلٌ لسوء المقام

الجملة في قوله تعالى: ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ معطوفة على الجملة المستأنفة الواقعة حالًا في قوله جلَّ شأنه: ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾، فتكون حالًا ثانية من جهنَّم، والتَّقدير: وبئس القرار هي[3]، أي: أحلّوقومهم جهنَّم حال كونهم يباشرونها مقاسين لحرِّها وحال كونها مكانًا بئيسًا.

غرض قوله: ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ ودلالتُه:

القرار في النّار هو القرار البالغ السّوء

ذمَّ النَّظم الجليل النّار بأسلوب الذَّمِّ في قوله تعالى: ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾، وهو إنشاء غير طلبيٍّ المراد منه المبالغة في وصف النّار بالسّوء، فصفة البؤس منسوبة للقرار فيها، أي: بئس المقرُّ جهنمُّ، وبئس القرار قرارُهم فيها[4]؛ لأنَّهم "يصطلون بها، يحيط بهم حرُّها الشَّديد، ويكونون وقودًا لها، وإنَّها تكون أسوأ نهاية؛ ولذا ذمَّها الله، فقال تعالتْ كلماتُه: ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾"[5].

(1) القنّوجي، فتح البيان: 7/114.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/45.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/230.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/45.
(5) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/4026 - 4027.

سرُّ التَّعبيرِ بـ ﴿ٱلْقَرَارُ﴾ معرَّفًا باللام:

القرار الكائن في جهنَّم هو القرار السيّئ لا كلّ قرار

آثر النَّظم الكريم تعريف القرار في قوله تعالى: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ بالألف واللّام الدّالَّة على العهد؛ فلمّا ذكر في صدر الآية الفعل ﴿وَأَحَلُّواْ﴾؛ دلَّ ذلك على حضور معنى الحلول وعهده في الذِّهن، فيكون ذكر القرار تنويهًا على هذا الحلول المذكور، وليس المُراد به كلَّ قرار؛ بل القرار في جهنَّم هو المخصوص بالذَّمِّ.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الحِجْر الآية 99
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الحِجْر الآية 99
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 25 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-22-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 25 : المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الحِجْر الآية 99.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-22-7
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-3019282 بتاريخ 2024/02/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»